الفصل الخامس

مشاهدات في اليمن عام ١٩٥٠م

كنت في اليمن والمحميات[1]

- ١ -

تجمعت عدة أسباب تدفعني إلى التعرف على الأقطار العربية عامة والأقطار الشقيقة البعيدة منها خاصة، ومن هذه الأسباب قضية فلسطين وأحوال العرب اليوم إذ لا يمكن لشخص أن يتفهم ويحب وطنًا إلا بعد أن يتعرف عليه، فيجوب خلال وديانه وجباله وسهوله وصحاريه ويتعرف على أهله ومناحي حياتهم وطرق معيشتهم.

اليمن والمحميات هي أبعد البلاد العربية، وإن الذي يريد أن يكون فكرة عنها يصعب عليه ذلك؛ بالنظر لعزلتها وقلة الباحثين والكاتبين عنها، وقد أتاحت لي الظروف القاهرة فرصة التعرف عن هذه البلاد البعيدة، وهذه الظروف المقصود هي ظروف فلسطين فقد انتهت الحرب العالمية الثانية بوجه عام، وانتهت حرب فلسطين بوجه خاص، وعمت البطالة فاضطر الشباب إلى السعي وراء العمل في أي قطر عربي كان، وقد كان هذا السبب الاضطراري مجالاً لرحلات الشباب العربي الذي كان يتوق وبحق إلى زيارة الأقطار العربية البعيدة المحرومة من العمران والثقافة.

وهكذا وللأسباب المذكورة آنفًا شددنا الرحال وقلوبنا مفعمة بالإيمان والرغبة في استطلاع المجهول والخدمة الصادقة لبني قومنا.

---

(١) محمد إبراهيم الهنيدي، مجلة صوت العراق (مجلة أسبوعية سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية) العدد ٨، السنة الأولى، ٧ تشرين الأول ١٩٥٠م، ص١١، ١٢.

تحرك ركابنا في أواخر شهر أيلول للعام الماضي على طائرة خاصة، أنا وعشرون آخرون قاصدين اليمن، وقد وصلنا في اليوم ذاته بعد طيران ثلاث عشر ساعة متواصلة، وهبطنا في مدينة عدن الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، وهذه المدينة محمية بريطانية تسلمتها بريطانية في عام **١٨٣٢**م كهدية من سلطان العثمانيين (في ذلك الوقت) للملكة (فكتوريا)، ولهذه المدينة أهمية تجارية وإستراتيجية كبيرة فكما أن قناة السويس هي المفتاح الشمالي للبحر الأحمر فإن عدن هي المفتاح الجنوبي.

تقع هذه المدينة بين عدة جبال قاحلة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول منها عدن **الصغرى، ثم (التواهي)**، ثم القسم الثالث المسمى **(بالشيخ عثمان)**.

وتجمع مدينة عدن عامة سحر الشرق ونظام الغرب، وهي أرخص مدينة زرتها في حياتي؛ لأنها ميناء حر ولا ضرائب على ما يرد إليها وما يصدر عنها، فعلبة السيكاير الإنكليزية تباع بتسع عانات (أي ما يساوي أربعين فلسًا)، والحذاء الإنكليزي الممتاز يباع بـ (**٢٢** روبية) أي (ما يعادل دينارًا أو سبعمائة فلس)، مع العلم أن ثمن هذا الحذاء في بيروت خمسين ليرة لبنانية (أي أكثر من خمسة دنانير).

كان مكوثنا في عدن لمدة عشرة أيام درسنا خلالها أحوال المجتمع، فألفينا مجتمعًا يجمع بين العرب وهم أكثر السكان، وبين الصوماليين، والحبشيين، والهنود، وبعض عبدة النار، كما يسكن هذه المدينة عدد كبير من البريطانيين الذين يحكمون البلاد ويديرون إدارتها.

ولعدن ميناء جميل جدًا يحيط بها من جهات ثلاث فلا تنقطع البواخر منه، إذ يمكن لزائر عدن أن يرى في بعض الأوقات المائة سفينة من الكبيرات اللواتي يمخرن عباب المحيطات.

قضيت عيد الأضحى السابق في عدن، ولاحظت أن السكان لا يختلفون في احتفالاتهم بالأعياد عن بقية الأقطار العربية، ولكن سكانها كما ظهر لي يحبون الألوان الزاهية المزركشة في ألبستهم ويتباهون بها، ولكنهم أهل كرم وضيافة، وهم حسنو المعشر، ومعظمهم من أصل يماني متمسك بعاداته وتقاليده العربية الصحيحة من ضيافة وكرم وشدة وشمم.

وتحوي عدن عدة مساجد، وكنيستين، ومعظم الأبنية فيها مبنية بالحجر وعلى الطراز الحديث، وفي عدن شبان يفهمون القضايا العربية فهمًا جيدًا وبعضهم تخرج من الجامعات، ووجود الأجانب قد غير مما لاشك فيه كثيرًا من طراز البناء والحياة في عدن، وأصبحت وهي في جنوب الجزيرة بعيدة عن العالم المتمدن أحسن حالاً من بعض جاراتها القريبة، هذا ومعظم سكان عدن يعتمدون في حياتهم على التجارة.

تركنا عدن في سيارة جيب جديدة قوية متجهة نحو عاصمة اليمن الثانية (**تعز**)، وبتوديعنا عدن ودعنا الطرق المعبدة وسرنا في طرق لم تعرف التعبيد ولا الترتيب، ويكاد السائر فيها أن يضيع أو أن ينقطع، وبعد عدن دخلنا في حدود محمية (**لحج**) وهي محمية بريطانية أيضًا، يحكمها سلطان وبها إدارة شكلية لا بأس بها بالنسبة للوضع القبلي البدائي هناك، وعندما مررنا بمدينة لحج وهي عاصمة المحمية دعينا لتناول الغداء على مائدة أحد الأمراء اسمه

(**عبدالله الجفري**)، والحقيقة كانت الساعتان اللتان قضيناها معه جلسة عربية صميمة، عرفتنا بتتبع إخواننا العرب الجنوبيين لقضايانا القومية، وخصوصًا قضية فلسطين، ولسنا ننسى حفاوة الشيخ الجفري بنا ولطفه وإيناسه الذي شملنا به، فتعرفنا على روح عربية شفافة طروبة في بطون الصحراء، وقد أفادنا الشيخ الجفري عن أحوال محمية لحج، وشاهدنا ونحن في الطريق بعض المشاريع الزراعية التي أدخلت على المحمية، وخصوصًا مشاريع الري التي شملت آلافًا من الفدانات ضمن أرض المملوحة.

وتابعنا سيرنا فدخلنا محمية (**الحوشبي**) مررنا فيها مرورًا، ولم نتعرف على أحد منها، وهي تشبه قرى الجبال البعيدة التي تفتقر إلى الزراعة والعمران، وبعدها دخلنا قسمًا آخر من محمية لحج ثم دخلنا حدود اليمن، وبينما نحن في الطريق كنا نرى يهود اليمن خارجين من اليمن بشكلهم البدائي متجهين نحو فلسطين، وكلهم تحمس وإخلاص للكيان الصهيوني.

وكان أعضاء القافلة يصرخون بنا وهم في طريقهم يهتفون بحياة الكيان الصهيوني، وبصدد هجرة اليهود اليمانيين إلى الكيان الصهيوني أقول: إن وكلاء اليهود في عدن لهم وكالة كبيرة فيها، وإن هذه الوكالة تقوم بتسفير اليهود، وبعد أن تنظفهم وتلبسهم وتهيئهم للسفر، إذ قد أعدت الطائرات الفخمة والقوافل المريحة لنقلهم إلى أرض الميعاد بسلام.

ولا يمكن أن نتصور غير الفلسطينيين الحالة النفسية التي تراود الفلسطينيين عندما يرى هذه القوافل الغريبة تدخل بلاده على الرحب والسعة، وهو مشرد عنها ودخوله ممنوع إليها، وفيها موطنه، وقبور أجداده،

وملاعب أنسه وصباه.

لنترك هذا الحديث المؤلم، ونستأنف الرحلة في العدد القادم بحث طلي مفيد عن اليمن ونهضتها الحديثة.

كنت في اليمن والمحميات[1]

- ٢ -

دخلنا اليمن وقد سرنا زهاء ساعتين في حدودها، عندما وصلنا أول مركز في تمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، واسم هذا المركز **السراهدة** وهو أول مركز للكمارك في غربي اليمن، إذ يجب على كل من يدخل اليمن ويخرج منها أن يمر بهذا المركز.

لقد تبين لنا أنه لا يمكننا أن نتابع السير إلى تعز؛ لأنه يجب أن نحصل على أمر شريف من جلالة الإمام بهذا الصدد (حيث أن أمر جلالة الإمام الشخصي وإذنه الخاص هو الأمر اللازم لكل قضية، وبما أن القمر كان يظهر في آخر الليل، وكانت تهطل أمطار غزيرة، والطريق وعر جبلي، فضلنا أن نقضي الليل في السراهدة؛ لنتابع السير في صباح اليوم التالي، وقد نزلنا في ضيافة صاحب الجلالة الإمام، وقد كان استقبالنا من قبل موظفي الحكومة استقبالاً رائعًا.

وفي صباح اليوم التالي تابعنا السير بعد أن قضينا ليلة ذكرتنا بحياة الكشافة، أو حياة روبنسن كروسو الذي كان يعمل لنفسه كل شيء، تابعنا السير لمدة ساعتين ونصف، وعن بعد شاهدنا قصرًا ضخمًا يطل على مدينة تعز من الشرق الجنوبي، ثم اقتربنا منه وإذا هو قصر (صالة) العامر الذي يسكنه إمام اليمن.

---

(١) الأستاذ محمد إبراهيم الهنيدي، مجلة صوت العراق، مجلة أسبوعية سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية، العدد ٩، السنة الأولى، ١٤ تشرين الأول ١٩٥٠م، ص١١، ١٣.

وبعدها بخمس عشر دقيقة وصلنا عاصمة اليمن الثانية (تعز)، ونزلنا في ضيافة مولانا صاحب الجلالة الإمام أحمد الناصر لدين الله، وبعد ذلك اليوم رافقنا وزير الدولة السيد حسن بن إبراهيم إلى القصر الملكي، وسجلنا أسماءنا في سجل التشريفات، وبعدها رجعنا إلى قصر الضيافة، وتناولنا طعام العشاء، واستغرقنا في نوم عميق بعد ذلك السفر الطويل.

وبعد أسبوع من وصولنا إلى تعز توزع الموظفون كل إلى مركزه واستلم زمام عمله وباشرنا مهمتنا في خدمة اليمن حكومة وشعبًا، وما أن مضى علينا بضعة أشهر حتى تعرفنا على إخواننا اليمانيين الكبير منهم والصغير، وفهمناهم أحسن الفهم، وتعاونا معهم على جمع ما فيه الخير والصلاح لبلادهم خاصة وللعروبة عامة، وقد تنوعت أعمالي في اليمن ما بين التدريس، والتفتيش، والترجمة في وزارة الخارجية، وتحرير **جريدة النصر** لمدة شهر، كل هذه الأعمال أدخلتني في صميم الحياة اليمانية.

أحوال اليمن عامة:

اليمن قطر عربي مستقل حر لا معاهدة تربطه ولا اتفاق له مع أي دولة أجنبية، وهو عضو في الجامعة العربية، كما هو عضو في هيئة الأمم المتحدة.

وهو على الإجمال بلد جبلي يحوي على جميع أنواع المناطق الجغرافية الطبيعية وعلى جميع أنواع المناخ.

أرضه بركانية خصبة جدًا، ومناخه يختلف بالنسبة إلى السهل والجبل وباختلاف الفصول والأماكن، ويمكن زراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية لجميع المواسم في موسم واحد.

مياهه بالنسبة إلى مساحته قليلة، ولكنها في بعض الأماكن دافقة غزيرة يستغل بعضها في الإرواء.

تجارة اليمن:

تعتمد اليمن في تجارتها على المحاصيل الزراعية والإنتاج الزراعي المحلي، وقد نجح في اليمن القطن والرز حيث انتشرت هذه الزراعة هناك، وإن معظم صادرات اليمن هي المحاصيل الزراعية كالبن وهو أشهر حاصلاتها، ثم الحبوب (الحنطة والشعير والذرة)، والسمن، والعسل، والجلود، وبعض الفواكه.

واردات اليمن:

أما الواردات فهي كل شيء مصنوع من المعدن ولباس، ومعظم الأشياء يؤتى بها عن طريق عدن وهي رخيصة إلى حد ما، وليس في اليمن مصرف غير المصرف الذي يسمى (البنك الهندي الصيني)، وهو بنك فرنسي أعماله محدودة جدًا؛ لعدم تشجيع السكان على التعامل مع الأجانب، والشركات التجارية الموجودة في اليمن شركات بسيطة محلية، وقد ازداد نشاطها في السنة الأخيرة ويرجى لها مستقبل زاهر.

المواصلات في اليمن:

ليس هناك طرق معبدة في اليمن ولكنها تصلح للسيارات إلى حد ما، ومدينة تعز متصلة بالحديدة وصنعاء، وهناك طائرات تمتلكها الحكومة اليمانية وتستعملها في داخل البلاد وخارجها، وفي اليمن أربعة مطارات تصلح لهبوط الطائرات هي مطارات (**تعز وعمران والحديدة وصنعاء**)، وقد

زاد نشاط الطائرات اليمانية في المدة الأخيرة زيادة محسوسة حيث إن لليمن طائرات تجارية.

الحالة الاجتماعية في اليمن:

سكان اليمن عرب مسلمون من المذهب الزيدي والمذهب الشافعي وجميعهم ينتمون إلى قبائل عربية صميمية عرفت بالتاريخ، وجميعهم محافظون على تقاليدهم وعاداتهم الإسلامية العربية، وأن روح الدين قوية ومسيطرة.

وألبسة السكان مختلفة ومعظمها يتكون من (السماطة) وهي لفة أو عمة للرأس، (والزنة) وهي فستان يشبه قميص النوم، أو (الدشداشة في العراق)، والجاكيتات تلبس فوق (الزنة)، ومعظمهم يحمل (الجنابي) وهي الخناجر (الجنابي جمع جنبية)، والمرأة اليمانية عامل مهم في الحياة اليمانية فهي تعمل جنبًا إلى جنب مع الرجل، ولكنها في المدن محجبة محافظة لا يخرج نطاق عملها عن البيت.

التعليم في اليمن:

في اليمن مدارس عديدة ومختلفة كان للإمام السابق اليد الطولى في تأسيسها، كما أن الإمام الحالي سار على سنة والده وأسس عددًا كبيرًا من المدارس ومعظمها مدارس ابتدائية، تعلم القرآن، واللغة العربية، والحساب، والمدارس العالية منها والمسماة بالثانوية يعادل مستواها المدارس الابتدائية في البلاد العربية الأخرى، والطالب اليماني ذكي للغاية مستعد لتلقي العلوم لو سمحت له الفرص ولكنها قليلة، ويلبس الطلبة اللباس البلدي في المدارس الرسمية، وتساهم الحكومة اليمانية بمعظم

نفقات الطلاب من مأكل وملبس وتعليم، وهذا شيء قلما يوجد في باقي الأقطار العربية.

جهاز الحكومة:

إن الجهاز الحكومي اليماني يشبه بشكله جهاز الحكم في أي قطر عربي، ولكنه أقرب للجهاز العثماني القديم إلى العربي الحالي.

وتقوم الحكومة اليمانية الآن بتنظيم جميع الدوائر الحكومية تنظيمًا حديثًا، وطبعًا تسير هذه المهمة حسب التساهيل.

والسلطة التامة في الحكومة اليمانية هي لجلالة الإمام الذي يستشير مجلس الشورى الخاص في الأمور المهمة، فأما أمور القضاة والمحاكم فهي موزعة في البلاد ومودعة إلى القضاة والحكام المختصين على أن يحيط الإمام علمًا بكل شيء وعلى أن تؤخذ الأوامر منه.

واليمن اليوم بقيادة مليكها وإمامها تخطو خطوات واسعة نحو التقدم، وشعارهم اليوم (التقدم نحو الأمام) وقد كان للانقلاب الأخير الأثر في تأخير هذه النهضة، ولكنها ابتدأت تسير سيرًا محسوسًا عسى الله أن يوفق ويسدد خطى الإمام وحكومته للسير إلى ما فيه الرقي التقدم.

رحلات أخرى إلى المحميات:

عند رجوعنا من اليمن إلى عدن قمت بعدة زيارات لبعض المحميات الواقعة على شواطئ البحر العربي، وهذه المحميات تتفاوت في درجة الرقي والتحديث، وتعتمد في إدارتها على مستشارين بريطانيين، وبوجه خاص أذكر محمية أبين التي تخوض غمار النهضة الزراعية، إذ يوجد هنالك

مشروع لجمع المياه التي تكفي لري مائة ألف فدان، ومن حيث الحياة الاجتماعية لا تختلف هذه المحميات عن اليمن وزميلاتها.

رحلة إلى أفريقيا:

وفي طريق عودتنا إلى بيروت مررنا بمدينة (عصب)، وهي مدينة ساحلية منظمة كانت تحت السيطرة الإيطالية في الحرب الماضية، وهي الآن تحت السيطرة البريطانية، وقد مررنا بمدينة (أسمرة) وهي عاصمة (أرتيريا) وهي مدينة أوربية، لا تفتقر لشيء سوى الانتعاش الاقتصادي الذي مات بعد الحرب.

وبعدها مررنا بمدينة (جدة) في المملكة العربية السعودية، وهي الآن غيرها بالأمس، فيها المباني العصرية الحديثة، والنظام الحديث، وفيها مطار عظيم جدًا تملؤه الطائرات السعودية العديدة وطائرات بعض الشركات الأجنبية التي تمر بها، ولاشك في أن لهذه المدينة وهذا الميناء مستقبلاً زاهرًا، ومن ثم ركبت الطائرة من جدة إلى القاهرة إلى بيروت.

هذه هي رحلتي إلى الجزيرة العربية أبعثها إلى مجلة صوت العراق الغراء، التي تهتم بالبحوث المهمة راجيًا قبولها من القراء، وعساي نورت بما كتبت.